عراقيون

من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة

المدى للإعلام والثقافة والفنون

www.almadasupplements.com

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

رئيس مجلس الادارة

رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (6106) السنة الثالثة والعشرون

الأربعاء (11) آذار 2026

لطفية الدليمي

سيدة المعرفة

1939 - 2026

في غياب صاحبة الثقافة الرفيعة

د. نادية هناوي

داومت الكبيرة الاستاذة لطفية الدليمي منذ ما يقرب من ستة عقود على الإبداع المميز والأصيل قصصا وروايات وترجمات وكتابات ثقافية وتاريخية ونقدية وصحفية. واستمرت الى اخر يوم في حياتها متوهجة وفي أوج عطائها.

وهي الى جانب هذا كله تعدُّ من أوائل القاصات العراقيات اللائي نشرن مجموعات قصصية، فنشرت عام ١٩٦٩ مجموعتها المميزة(ممر إلى أحزان الرجال) وأول رواية كتبتها كانت(عالم النساء الوحيدات) عام ١٩٨٦ وهي التي أضافت إلى الكتابة السردية جديداً بما جربته من آليات وتقانات في التعامل مع التاريخ، فكانت ذات خط مميز طوّرته حتى صار مخصوصاً بها تشهد عليه مجموعتها(موسيقى صوفية) ثم رواياتها(من يرث الفردوس/ حديقة حياة / سيدات زحل / عشاق وفوتوغراف وأزمنة.

ولها في مجال تدريس اللغة العربية وعضوية التحرير في مجلات ثقافية تاريخ مشهود كما لها مشاريع هي ريادية في نوعيتها المخصوصة بالنسوية العراقية فكانت أن أسست في بغداد عام ١٩٩٢ مع عدد من المثقفات العراقيات منتدى المرأة الثقافي وأسست عام ٢٠٠٤ مركز شبعاد لدراسات حرية المرأة. أما ترجماتها فأمدت المكتبة العربية بعشرات الروايات والقصص وكتب النقد والفكر والثقافة. وأول ترجماتها كانت(قصص شجرة الكاميليا) عام ٢٠٠٠ . ولم تكتف إبداعيا بالتميز في الكتابة القصصية والروائية، بل كتبت المسرحية والسيناريو مجربة الخط السردي ذاته وهو التعامل مع التاريخ من منظور يخالف المعتاد، فكانت مسرحية الليالي السومرية ومسرحية قمر أور ومسرحية شبح جلجامش.

وكان لثقافتها العالية وأسلوبها الرفيع في الكتابة أن جعلها كاتبة مقالات مميزة من وزن عال ومؤلفة ناقدة. وأول تآليفها الفكرية كتابها(المغلق والمفتوح) الصادر في ثمانينيات القرن الماضي ثم ساهم اطلاعها على مدارس النقد والتطورات الهائلة في مناهج الدراسات الثقافية أن تكون مفكرة فكتبت عن التاريخ والآثار والأنوثة والحرية واللغة والإعلام والعنف.. الخ.

ولان الأسماء والشخصيات والأقلام المبدعة التي ما زالت بيننا تعمل وتبدع قليلة جدا، يبرز اسم الكبيرة (لطفية الدليمي) بإنجازاتها وعطاءاتها وإبداعاتها وليس بالجوائز المغربة والهبات والاعطيات التي يتهافت عليها المتهافتون.

وما لا شك فيه أن براعة لطفية الدليمي الكتابية وعلو باعها الفكري وموسوعية ما لديها من علم وإبداع وثقافة يجعلها شخصية عالميةً ومن ثم يكون حقيقاً علينا الاحتفاء بإنجازاتها وتكريم عطاءاتها كما أنٍ وضع جائزة باسمها أو إقامة صرح ثقافي يخلّد عطاءاتها هو قليل بالمقارنة مع ما قدمته للثقافة العربية.

رحيل سيدة سيدات زحل

شعد الراوي

في صباح يوم الاحد الماضي ، حيث تتعاقب الصواريخ والمسيّرات ذهاباً ومجيئاً في سماء مدينتها بغداد مروراً بعمان مدينة إقامتها، أغمضت لطفية الدليمي عينيها بهدوء بعيداً عن بيتها ومكتبتها وحديقتها ووحدتها.

بعيداً عن بغداد التي لم تمثل في وجدانها مدينة العيش والرفقة وتفاصيل الحياة الروتينية فحسب، بل كانت مركز تكوينها الثقافي والوجداني؛ ففيها أكملت دراستها، ودخلت الوسط الثقافي شابة في ريعان الجمال، وفيها تشكلت حساسيتها الأدبية وطرحت أعمق أسئلتها. على الرغم من أن صورتها لبغداد في السنوات الأخيرة كانت صورة مدينة مجروحة ومُنتهكة؛ إذ تحدثت بوضوح عن تدمير الثقافة والمثقفين بعد ٢٠٠٣، وعن استهداف الكتاب والفنانين، ما يجعل بغداد لطفية الدليمي مدينة أصل وعلاقة حب أبدية، لكنها أيضاً مدينة خساراتها الكبرى وانكساراتها التاريخية؛ وهذا كان آخر مشهد ودعته لطفية عن مدينتها التي عرفتها ولم تعرفها جيداً حتى الرمق الأخير.

بهذا الهدوء الذي يشبه أسلوبها في الكتابة، رحلت لطفيتنا تاركة وراءها تجربة أدبية وفكرية امتدت عقوداً، وقفت فيها عند تخوم الأدب والفلسفة والعلم في آن واحد، حيث لم تكن روائية تقليدية، ولم تكن الكتابة في مفهومها تسطير للحكايات أو بناء شخصيات والأحداث، كانت بطبيعتها محاولة مستمرة لفهم الإنسان وهو يقف مرتبكاً أمام اتساع الكون وقسوة التاريخ.

فمنذ بداياتها، بدت كتابتها مختلفة عن كثير من الأصوات السردية العراقية. كانت تنظر إلى الرواية بوصفها مساحة للتفكير بقدر ما هي مساحة للسرد. لذلك، كانت نصوصها تميل إلى التأمل العميق، حيث يتداخل مصير الفرد مع أسئلة الحضارة، ويصبح مصير الشخصيات امتداداً لقلق إنساني أوسع. لم تكن مهتمة فقط بحكاية ما حدث لها وحدها، بل كانت تشغل روحها بسؤال ما يعنيه هذا الذي حدث، وبالطبقات الخفية التي تتشكل فيها حياة الإنسان بين التاريخ والذاكرة والخيال.

بعد عام ٢٠٠٣، دخلت الراحلة تجربة المنفى التي غيرت حياة كثير من المثقفين العراقيين. خرجت من بغداد، المدينة التي ظلت حاضرة في كتابتها بوصفها ذاكرة كاملة للشخوص والمكان. فبغداد بالنسبة لها هي الفضاء الروحي الذي يتكون من اللغة واللهجة والكتب والمقاهي وأصوات الناس. لذلك بدا المنفى في كتاباتها أقرب إلى اقتلاع بطيء من الجذور، تجربة يعيش فيها الإنسان في مكان آخر لكنه يظل يصغي إلى صدى مدينته البعيدة.

حين وصلت إلى باريس، المدينة التي طالما اعتبرت عاصمة للثقافة والفنون، لم تتعامل معها بوصفها حلماً تحقق كما تتصرف أدبيات الرومانسيين. رأيها في باريس مزدوج وربما متناقض. فمن جهة، كانت تعد باريس مدينة ثقافة وفن وأدب وذاكرة أوروبية كبرى، مدينة رامبو وأديث بياف وسارتر وسيمون دي بوفوار، وخرجت منها كما وصفت بعض القراءات بكنز من الذكريات الجريئة والمثيرة. ومن جهة أخرى، تجربتها الشخصية فيها لم تكن رومانسية على أي وجه، كانت تجربة قاسية ومخيفة؛ حتى وصفت المنفى هناك بأنه مريع، وتحدثت عن البحث عن غرفة لا عن بيت، وعن هشاشة العيش، وحتى عن تعرضها لاعتداء بهدف سرقة حاسوبها.

لذلك، يمكن اختصار باريس في رؤيتها بأنها مدينة رأسمال رمزي كبير، مع أنها لم تكن مدينة رحيمة في تجربة اللجوء.

في كتابها المعروف «كراساتي الباريسية»، تظهر باريس كما لو كانت مختبراً للتأمل أكثر من كونها مسرحاً للدهشة. هناك مقاه عريقة وحدائق واسعة ومتاحف تحتفظ بتاريخ الفن الأوروبي، لكن خلف هذا الجمال ظل شعور الغربة حاضراً في الكتابة. كانت لطفية تمشي في شوارع باريس كما يمشي قارئ في كتاب ضخم، تلتقط التفاصيل الصغيرة، لكنها في الوقت نفسه تدرك أن هذا الكتاب ليس كتابها تماماً.

لهذا السبب ظل الحنين إلى بغداد يتسلل إلى نصوصها حتى وهي تكتب عن المدن الأوروبية. كانت تستعيد بغداد بوصفها ذاكرة حسية كاملة، بضوئها المختلف، ولهجتها التي تشبه الموسيقى، ودفء العلاقات التي لا يمكن تعويضها في المدن البعيدة. وفي كثير من الأحيان، بدا أن الكتابة نفسها كانت محاولة لإنقاذ هذه الذاكرة من التلاشي.

وبعد عودتها إلى عمان، كانت هذه المدينة تبدو من نبرتها المدينة الأقرب إلى الطمأنينة. كتبت عنها بوضوح عاطفي نادر، وقالت إن حب المدن لا يحتاج دائماً إلى تفسير، ثم وصفت عمان بأنها مدينة فتية وناهضة وعريقة، وأنها عاصمة معافاة تفتنها بدفئها وحنوها وامتلاكها لأسباب التطور والنمو. وأضافت أن كل عودة إليها من منافي حياتها كانت تكشف لها أفقاً ثقافياً وحداثياً جديداً. هذا يعني أنها لم تتخذ من عمان محطة إقامة اضطرارية، وإنما مدينة احتواء وشفاء عاطفي، ومدينة علاقة روحية مستقرة.

في رواياتها، تركت لطفية أعمالاً لا يمكن أن يطويها النسيان: «سيدات زحل» و«بذور النار» و«من يرث الفردوس»، وهي روايات تتقاطع فيها مصائر النساء مع التحولات العنيفة التي شهدها العراق خلال العقود الأخيرة. المرأة في عقل كاتبتنا الراحلة مركز التجربة الإنسانية، الكائن الذي يختبر التاريخ على مستوى الجسد والروح في آن واحد.

إن ما يميز مشروعها الروائي حقاً هو البعد الفلسفي الذي يتخلل كتابتها، وهذا النهم غير المحدود حول أدب ما بعد الحداثة. كانت تؤمن أن الرواية الحديثة لا تتوقف عند تخوم الحكاية، هي الفضاء الذي تتقاطع فيه المعارف الإنسانية المختلفة. لذلك، نجد في نصوصها حضوراً واضحاً للعلم والفلسفة وأسئلة الوجود الكبرى. كانت لطفية مهتمة بالعلاقة بين الإنسان والتكنولوجيا، بين الوعي البشري واتساع الكون، وبين مصير الحضارة والأسئلة الأخلاقية التي تطرحها المعرفة الحديثة.

ولم يكن هذا الاهتمام عابراً؛ فقد ترجمت وكتبت عن مؤلفات علمية وفكرية كثيرة، وكانت ترى أن الكاتب المعاصر لا يمكن أن يعيش داخل حدود الأدب وحده، بل عليه أن ينفتح على العلوم والفلسفات الحديثة لكي يفهم العالم الذي يكتب عنه. لهذا بدت كتابتها دائماً وكأنها تتحرك بين مختبر فكري ومعرفي ومختبر لغوي في الوقت نفسه.

رحلت لطفية الدليمي، لكن أثرها سيظل حاضراً في المكتبة العراقية والعربية بوصفها واحدة من الكاتبات اللواتي حاولن أن يمنحن الرواية أفقاً معرفياً أوسع.

كتبت عن المدن والمنفى والنساء والتاريخ، لكنها في العمق كانت تكتب عن سؤال واحد ظل يرافقها طوال حياتها: كيف يستطيع الإنسان أن يجد معنى لحياته وسط عالم مضطرب وممتلئ بالخسارات؟ ربما لهذا يبدو أن رحيلها اليوم أشبه بإغلاق كتاب سري من تقاطع الوطن مع الحياة. كتاب بدأ في بغداد، وعبر مدناً كثيرة، لكنه ظل في النهاية يصغي، بصبر الكاتب وحنين المنفي، إلى الصوت البعيد لمدى لن يغادره أبداً. لم ترحل لطفية الدليمي عن عالمنا، بل لطالما كانت الراحلة التي تفتش في ترحالها عن وجه بغداد في أبعد مكان يمكن عن الوطن، وبذلك كانت دائماً تزودنا به. إنها ابنة المهجر الجميل، ولا يمكن للمسافر الخالد في أذهان الناس أن يسافر إلى منفى أبعد من تخوم الخلود الذي نعرفه.

لطفية الدليمي ..راهبة الزمان الجاحد

ابراهيم البهرزي

يعيدني نبأ رحيل لطفية الدليمي ، وهو نبأ طوى الجزيرة حتى جاءني ، كما هو على لسان المتنبي ، يعيدني إلى لحظة سبقت وجودي او زامنت لحظته ، في البلدة التي ولدنا فيها معا ، يعيدني إلى بستان صغير فيه مكتبة ،نعم مكتبة في بستان! حيث كان يرعاها العم سهيل والد لطفية وكما سمعت منها ومن اهلي ، انها لم تكن مكتبة فحسب بل بؤرة تنوير في بلدة شبه فلاحية شبه مدنية في ذلك الزمان من الأربعينات والخمسينات حيث عاشت لطفية اول تبرعم وعيها وموهبتها .

وظلت الكتابة لأكثر من سبعين عاما هي رسالة لطفية ، فلم تكن تسعى لضوء او محفل او مغانم ، ظلت راهبة في محراب الكلمة تأليفا وترجمة حتى لحظة دخولها المستشفى .

ظلت مؤمنة بالإنسان متشبثة بوطن أخرجها فيه سفله وأرازله من بيتها فيه ، ونهبوه دون ان تكتب كلمة حقد واحدة ضد احد .

ظلت متأملة ومتألمة مثل راهبة في زمان جاحد تقاوم بالكتابة وحدها شوقها لبلدها ومنزلها اللذين ظلا جرحا في وجدانها .

كنت أشعر بسعادة مطلقة لما أتمشى أو أدور في أمكنة تفتحت عليها عيون كاتبة من طراز نادر مثل لطفية الدليمي، ذلك الأرشيف الإيكولوجي الهائل الذي يحيطه نهران نزقان يتلويان ما بين بساتين نخيل وليمون وأزقة مدينة صغيرة تفتحت توّاً بعد نهايات الحرب العالمية الثانية على آفاق جديدة، وأفكار عنيدة تحاول أن تتوغل بمثابرة الجذور وعنادها في أرض بكر لمّا تزل تطرق أديمها الفطرة والطيبة والثقافة الشفوية.

في ذلك الزمان وتلك الأرض كان لو الدها العم سهيل مكتبة في بستان، والعبارة ليست من مجازات الشعر، بل هي مكتبة حقيقية في كوخ داخل بستان، هكذا أخبرني رواة الأحاديث، وربما كانت الصبية لطفية أول ما اكتشفت تلك العلاقة بين الفكرة والشجرة، بين الطبيعة الخالدة والكلمة الخالدة؛ فهي كما تذكر في سيرتها الأدبية صبية دخلت مكتبةً منذ التاسعة من عمرها، وظلت حتى الساعة تصغي وتحاور بفكرها أفكار صنّاع الفكر في هذا العالم منذ ألف ليلة وليلة حتى ستيفن هوكنغ.

لم تشغل لطفية نفسها بتلك الصراعات، والصرعات الأدبية، والسجالات الخلافية في أزمنة صار ذلك فيه كل هاجس المثقف، ولَم تسعَ إلى وقفة تحت ضوء ساطع. كانت على الدوام تطل بتلك الهيئة الرهبانية: سيدة جميلة تجلس في مكتبتها مفتوحة النوافذ على فردوس عراقي يمتد في الزمان والمكان، تقرأ وتتأمل وتكتب بطريقة لا تدين بمرجعية لغير ذاتها. كل فكر في هذا العالم قابل للمحاورة في مرجعية لطفية الذاتية؛ فهي لم ترهن أفقها المعرفي في حدود التجربة الأدبية ومشاغلها، بل سَعى فضولها المعرفي بعيداً إلى علوم لا يقربها جلّ المشتغلين بالأدب. لطفية تحاور أهل العلوم النظرية الصرفة، وتحاول مقاربة القوانين الصارمة فيها بحواف الأساطير المائعة، وتتبحّر في أوابد الموسيقى لتعيد صياغة الأفكار على سياقها، وتتمعّن في حفريات التشكيل والنحت العريق لتستجلي فكرة إنسانيةً تؤكد من خلالها وحدة الوجود والموجود.

قد يبدو هذا الطواف الموسوعي في مختلف مظان الإبداع نوعاً من التشتت لمن لا يقرأ لطفية بتحديق عميق؛ أما المتأمل في ما تدوّن من إبداع أصيل، أو إنتاج ترجمي أو مقالي فإنه سيرى ذلك الخيط السرّي الذي يجمع الأشتات: إنه خيط السنارة الذي يهبط في طبقات الأمواج المتراكمة ليبحث عن تلك السمكة الفضية، سمكة الأمل الإنساني لأشخاص مستوحدين يتأملون هذه المحن التي يصنعها البشر ولا يقنطون. لأجل ذلك كتبت لطفية، وأجادت في كل الأشكال الأدبية من قصة قصيرة ورواية ومسرح وتأملات ومناجيات وتذكارات وأدب رحلات ومقالات علمية، وترجمت نوادر الكتب التي تشاكل عقلها الفضولي، تلك التي تطرح الأسئلة الغريبة عن العلاقة بين صرامة العلم ورهافة الأدب؛ فهي في كل ما أبدعت أو ترجمت كانت تسعى خلف الأسئلة المرهقة التي يتجنبها الآخرون، وللمناسبة فإن ما تترجمه لطفية يشكل لذاته نسيجاً إبداعياً يحمل نفَس إبداعها السردي من جهة الأناقة في نحت العبارة والسلاسة في إظهار معانيها.

أزعم أن الحياة لم تكن منصفةً مع لطفية في أمور كثيرة؛ ففي عصور الجحود لم يمنحها وطنها ما يكافئ جهدها الإبداعي الثّر، بل إنها وجدت نفسها في لحظة من لحظات الزمان الملتبس مقتَلعةً من بيتها الذي أسسته بجهد سنين طوال، و صار البيت وحدائقه التي تحب نهباً للغوغاء واللصوص لتحيا بعدها مضطرةً في مدن بعيدة، وما تباكت لطفية على كل ذاك، كل ما فعلته أنها أسست من الكتب بيتاً بديلاً؛ فضاعفت لأجل تعويض المنزل الأول من جهدها الإبداعي كتابةً وترجمة، وجعلت كل يوم من أيامها تجربة جديدةً في الإبداع، وربما يكون هذا واحداً من أسرار الغزارة الإنتاجية الأصيلة التي تتمتع بها، حتى أنها لتبدو راهبةً في دير كلٌّ جدرانه مكتبات، وكل أرضياته أمكنة للكتابة، ولا أظن أن يوماً واحداً يمرّ في عمرها دون تدوين فكرة أصيلة أو ترجمة فكر خلّاق.

كنت دائماً ما أردّد أن لطفية صانعةُ جمال عميق، ذلك الجمال الذي يتشكّل من طبقات تحتاج لمسح جيولوجي لتسبر كلّ مفاتنه؛ فخلف كل سطر تدوّنهُ هنالك ظلال سطور ينبغي أن تلحظها محفورةً في آثار تلك السطور. إنني أشبّه مجمل إبداعها بابتسامتها الساحرة المشرقة أبداً، تلك الابتسامة التي لا تنتهي بمغادرة الصورة؛ فهي تظل تطارد بإشراقها الناظرَ حتى يرى أبعد مما رأى. أرى سحر ابتسامة لطفية في كل سطر قرأته لها، لا أراه بالفتنة وحدها، بل بالإشراق أيضاً. ليس غريباً أن يكون ملمحٌ من كاتبٍ ما مفتاحَ إبداعه، هكذا أنظر إلى كبار الكتّاب دوماً فأجد في كل منهم ملمحاً فيه يفسّره، وربما كانت ابتسامة لطفية الساحرة هي ذلك الملمح الذي يفسّر ذلك الضوء المتفجر بين سطورها، ويخيّل إليّ في كثير من الأحيان أنها ظلُّ أميرةٍ سومرية ظلّت مبتسمةً منذ الألف الخامس قبل الميلاد رغم كل غزوات الهمج التي تواترت على ممالكها، وربما يكون ذلك هو السر الذي جعل من لطفية لا تلتفت أبداً للأضواء، وربما تكون مكتفيةً بذلك الضوء المنبعث على ابتسامتها من براكين عقلٍ متّقدٍ لا يركن مطلقاً لفكرة الخمود.

إنها تبتسم ولا تتكلم، تتأمل وتكتب، تصغي وتكتب، وكأن الكلام لا يعني عندها غير ذلك الحرف المكتوب ، والعجيب أنها لا تكرر ما تكتب؛ فهي في جدة دائبة دائمة وكأن الأفكار الأصيلة تتوالد عندها من تلك المكتبة البعيدة في ذلك الفردوس الذي ولدت فيه، حيث الشجرة والكتاب، الحرف والثمرة، المداد والنسغ، كلها في تناغم وتواصل يديمان وحدة الإبداع والكينونة.

يصعب ان أقول وداعا لانسانة كانت شديدة الإيمان بالحياة معبرة عن هذا الإيمان بابتسامتها المشرقة وأناقتها وتجدد ورشاقة عباراتها حتى الرحيل فأنا لم اصدق موتها بعد .

العراق ولطفية الدليمي و لعنة نبوخذنصر

سعد سلوم

في إحدى المراسلات بيني وبين الراحلة لطيفة الدليمي، كنت قد أخبرتها أن عائلة المخرج محمد يوسف الجنابي عثرت في أرشيفه على نص لها وتود إعادته إليها. وكان مسلسلا عن نبوخذنصر. فجاءني ردها الذي كشف جانباً عميقاً من روحها القلقة على هذا البلد.

كتبت لي يومها (عام ٢٠١٥) أن لهذا العمل حكاية طويلة أجهضتها الحروب. فقد كتبته ثلاث مرات، وفي كل مرة يبدأ الإنتاج ثم تندلع حرب جديدة فتتوقف العملية ويُسند العمل إلى مخرج آخر.

ومع كل محاولة كانت تعيد كتابة النص من جديد، حتى بلغ ثلاثين حلقة، لكن الحروب كانت تبتلعه في كل مرة.

ثم أضافت، بنبرة تجمع بين السخرية المرة والحزن العميق، أنها بدأت تشعر كأن هناك ما يشبه "لعنة نبوخذ نصر" تلاحق هذا العمل، فكلما عاد إلى الحياة، حدثت كارثة في العراق أو حادثة مؤلمة في حياتها العائلية.

كانت تقول ذلك وهي تؤكد أنها لا تؤمن بهذه الميتافيزيقا، لكنها كانت تستحضرها كمفارقة موجعة تختصر ما فعله الزمن بالعراق وبأحلام أبنائه.

ذلك الرد القصير كشف لي شيئاً من طبيعة لطيفة الدليمي: كاتبة تعيش مشروعها الفكري والإنساني بصدق موجع، وتربط مصير نصوصها بمصير بلدٍ أنهكته الحروب.

حتى إن سنوات طويلة من البحث في الحضارة البابلية، التي كرّست لها جهداً كبيراً، تحولت في ذاكرتها إلى ذكرى ثقيلة بسبب ما كان يحدث للعراق كلما حاولت أن تمنح تلك الحضارة حياةً جديدة في عمل فني.

كانت لطيفة الدليمي تكتب عن التاريخ، لكنها في الحقيقة كانت تكتب عن العراق الذي كانت تحبه بعمق، وتراه يتبدد أمام عينيها مرة بعد أخرى. وربما لهذا ظل في كلماتها دائماً ذلك المزيج الفريد من المعرفة الواسعة، والمرارة الهادئة، والحنين إلى بلدٍ كانت تخشى أنه لم يعد كما كان.

رحلتْ لطيفة الدليمي، لكن خسارتها ليست شخصية ولا أدبية فحسب، إنها خسارة عراق كان يجد في كتابتها عزاء لذاكرته الجريحة. تعزية للعراق الذي يودّع اليوم واحدة من أنبل حراس روحه.

برحيل لطيفة الدليمي يفقد العراق واحدة من أكثر أصواته الأدبية عمقاً ونبلا. لم تكن مجرد روائية ومثقفة، بل كانت ضميرا ثقافيا يكتب عن العراق بذاكرة حضاراته ووجع حاضره.

وبين مراسلاتنا ولقاءاتنا بقيت لديّ الكثير من اللحظات والذكريات التي تكشف جانبا من روحها الإنسانية وقلقها النبيل على هذا البلد. لذلك سأحاول في الأيام القادمة أن أدوّن بعض هذه الذكريات الصغيرة، وفاءً لاسمٍ كبير ترك أثرا عميقاً في الثقافة العراقية.

لطفية الدليمي شريكة المعرفة

صفاء جبار صنكور

"كل المحبة. التي تليق بنا. وبزماننا النقي. الذي عشناه"

هذه آخر كلمات كتبتها شقيقة الروح وشريكة المعرفة والتوق للجمال مبدعتنا المُجيدة لطفية الدليمي في آخر مراسلة بيننا.

شابا يافعا اقترب من سن الرشد كنت، يخطو خطواته الأولى في عالم الأدب، خجولا، حييا، يتلعثم أمام رموز هذا العالم، ويترك نصوصه في بريدهم ويهرب بسرعة، خشيه أن يكتشفوا خجله وصغر سنه وتلعثمه أمامهم. هكذا دخلت الزمن النقي الذي تتحدث عنه شقيقة الروح (هكذا يحلو لي أن أسميها في كل مراسلاتنا) وكانت أم أيار من أوائل من أخذ بيدي ورعاني في خطواتي الأولى في عالم الادب والفن والصحافة، وليس هذا المهم، فما هو أهم هو أنها أمسكت بيدي بيد حانية وقادتني إلى الزمن النقي (الذي تحدثت عنه)، كان طيبة في زمن بلاد كانت تمور بالتحولات وتلاطم التوجهات السياسية وتغرق في سعار عنف الطامحين بالسلطة ومطامع الخارج ومؤمراته، كان زمنا ثقيلا بدأ يركد بأوحال وأوشال الصراع على السلطة والشك والمراقبة و ودوامة العنف والعزلة عن العالم الخارجي، لكن زمان النقاء كان في نروته في مسار موازٍ في تلك الطية خارج الزمن العام، زمن تضامن لا يوصف، وصداقات نقية عظيمة، زمن عماده نقاء وطيبة وتوق لا يحد للخير والجمال ، لا تحتاج الإفصاح فيه بل الإشارة، لتكون في مأمن من الزمن الآخر الظالم.

كانت مجلة الطليعة الأدبية في مبنى دار الرشيد (دار الشؤون الثقافية لاحقا) في شارع الجمهورية بالقرب من الشورجة. كنت استجمعت كل قواي وقررت خوض المغامرة حاملا نصوصي من جديد إلى استاذي ومعلمي شاعرنا الكبير ياسين طه حافظ، الذي كان سكرتير تحرير المجلة حينها (لقد رعا الحافظ خطواتي الأولى للدخول في زمن النقاء، عندما كنت صبيا طالبا في الغربية المتوسطة، تلك المدرسة النموذجية التي كان لها ولمعلميها العظام أبلغ الأثر في تكويني، كان الحافظ مدرسا للغة الإنجليزية، لكنه لم يدرسني مباشرة في المدرسة (كان صفنا يدرس في المختبر الصوتي لأستاذ نؤاس)، ولكن من أرسلني إلى قاعة استاذ ياسين طه حافظ (كانت القاعات حينها باسم الأساتذة على نظام الجامعة وليس الصفوف) هو استاذي في اللغة العربية، الباحث والمحقق التراثي المعروف موسى الكرباسي. (في زمن النقاء الذي تتحدث عنه لطفية كان المعلم مربيا وموجها وأستاذا يقود خطاك، ولا يكتفي بتدريسك المنهج المقرر، لذا عرفني الكرباسي عندما رصد اهتمامي بالأدب الحديث وقرأ نصوصي التي كنت أكتبها في عمر مبكر، على مدرسين هما ياسين طه حافظ وخليل العزاوي ؛ مدرس الرسم الذي خصص لي زاوية ثابتة نحو ٢٠ دقيقة في آخر الدرس للحديث عن فيلم سينمائي بشكل ثابت اسبوعيا، فرسما مع الكرباسي مسار حياتي الإبداعي المقبل، بل ورشحني، وأنا صبي ، لأشارك في تحرير مجلة صوت الغربية التي كانت مجلة فصلية مطبوعة تصدر بأكثر من ١٠٠ صفحة ونشرت فيها قصتي الأولى مطلع السبعينيات. قال لي الكرباسي بكل تواضع: ابني أنا رجل مختص بالتراث ولا أفهم بالأدب الحديث الذي تكتبه لذا سأرسلك إلى استاذ ياسين المختص بهذا الأدب ليوجهك ويقود خطاك وكان استاذ ياسين هو شاعرنا الكبير ياسين طه حافظ، الذي استقبلني في قاعة درسه وطلب من طلابه ان يقتحوا صفحة من الكتاب المقرر ويقرأوا فيها ، ثم نزل من منبره في قاعة درسه وطلب من أقرب طالبين إخلاء رحلتيهما وجلس معي هناك يناقشني في قصة كتبتها وارسلها له استاذي الكرباسي حرفا حرفا ، عذرا لهذا الاستطراد الطويل، لكنني اجده ضروريا لتوضيح دور المعلم في زمن النقاء الذي عرفته وتتحدث عنه لطفية).

جئت لرؤية استاذ ياسين في المجلة بعد غياب اكثر أربع سنوات، حيث اكملت دراستي الثانوية في الإعدادية المركزية، لأطلعه على مسار تطوري ونصوصي الجديدة، وتعرفت يومها على أم أيار التي كانت في هيئة تحرير المجلة، والتي تحمست كثيرا لقصتي التي أعطيتها لها ونشرتها في اول عدد قادم من المجلة لتكون فاتحة لحياة طويلة في زمن النقاء، وشراكة في التوق للجمال والخير والحقيقة.

لقد رعت خطواتي الأولى،وكانت إلى جانب سيدة عظيمة ومبدعة اخرى هي ابتسام عبد الله مثل ملاكين رعيا حياتي وحلقا فوقي في لحظات حاسمة فيها، ويا للمفارقة ها هي لطفية ترحل في ذات اليوم الذي رحلت فيه ابتسام، حيث يحتفل العالم بيوم المرأة، وكأنهما صورتان لنوع ، ألهتين للخير والجمال من سومر أو بابل القديمتين، وليس مجرد امرأتين في هذا العالم .. عندما انظر في جدب حياتنا الآن أقول يا إلهي كم كنت محظوظا بوجود ملاكين حارسين مثلهما في حياتي.

عرفتني وأنا الشاب الحالم بالجمال والسينما على حالم أعظم تعلقت بعظمة الحلم وكبره في الأول نبوخذ نصر وهو أول فيلم ملون عراقي، مطلع الستينيات .

وهناك في تلك الطية الصغيرة في زمن النقاء في ذاك المنزل الحميم غربي بغداد ، بدأت صداقتنا الحميمة وحوارانا الطويلة، كنت ابنا أحباه وأمنا بحلمه ورعياه، لو رأني كامل اليوم لتعلق في عظمة الحلم في عيني وانكساره ... يا للعود الأبدي.

ذاك المنزل ، فردوس لطفية الذي صنعته بيديها وتركت لمساتها في كل ركن وجدار فيه، جنتها الهادئة الصغيرة، التي واصلت زيارتها والاطمئنان على صحتها فيها ، حتى اللحظات الأخيرة (آخر ما أرسلته لي صورتي معها ومع الرجل الصعيدي الطيب الذي ظل يرعى المنزل وطلب منها يوما ما أن تصورنا معا للذكرى) . يا الهي كم شكل غياب هذه المنزل، جنة لطفية الصغيرة، ثلمة في الوجود بالنسبة لها، عمّقتها لاحقا تجربتها في الاغتراب في باريس؛ وهي صورة لخيبتنا جميعا من مغترباتنا الأوروبية، حيث احتيالات المهاجرين وظلام مللهم وطوائفهم وتعصب معاديهم من يمين متطرف واستغلال المؤسسات الرأسمالية الضارية؛ جنة شيطان موهومة، لا أوروبا التنوير التي تشربنا قيمها وحلمنا بمُثلها !! (تخيلوا أن تُسحل مبدعة ورمز لأمة في الشارع على أيدي مهاجرين طموحهم سرقة حقيبتها واللابتوب الذي فيها لتدبير عيشهم لبضعة أيام قادمة!! أين منك يا لطفية جنة النقاء الصغيرة وركن البيانو وطاولة الشاي والمكتبة الممتلئة، وذاك الفضاء الطافح بالطيبة والمحبة والنقاء والجمال!!)

في جنة لطفية الصغيرة، كان الجمال يُخدر كما الشاي الذي تُحب بهدوء ورووية ونكهات مختلفة، أتذكر جلساتنا التي نتنقل فيها من غرفة الاستقبال وركن البيانو إلى غرفة المكتبة وطقس الشاي، وملحقها في الطابق الثاني، إلى الحديقة التي صممتها ركنا ركنا بورودها ونباتاتها النادرة، اعتدنا ان نتناقش مع أبي أيار حول السينما والموسيقى وما شاهدته أو قرأته مؤخرا؛ ثم أنسى صورة المناقش الجاد وأعود إلى صباي صبيا يتسلق تلك الشجرة الوارفة التي كنا نجلس تحتها، لأقطف لكم من ثمارها مستذكرا شجرة التوت الضخمة في منزل طفولتي التي أحدثكم عنها ثم ارمي لكم الثمار وسط ضحكاتنا جميعا.. أي براءة وأي نقاء، أليس من حقنا إذن ان نتحدث عن زمن النقاء وسط كل ذاك الخراب .. أجل كان زمننا الذي عشناه.

كنت اغبط لطفية على حيويتها وانتمائها إلى زمن النقاء الذي تعيشه أو تحلم به، ودأبها ومثابرتها العالية وإصرارها على الإنتاج؛ عكسي أنا الذي أغرق في الصمت والنسيان، لقد ملأت حياتنا ابداعا وجمالا : قصة ورواية وترجمة ومقالات، ومجدها أنها تركت لنا وثائق ويوميات وكتابات إبداعية عن زمن النقاء الذي تتحدث عنه.

كتبت لي مؤخرًا في حوار ، ندمت لعدم قدرتي على مواصلته واضطراري لقطعه بسبب التزامي بالعمل ، "أنت بالذات وحدك من المجموعة، بقيت تمثل لي عراقا مختلفا أحبه" .

وأرد اليوم "أنت وحدك تذكريني بعراق أحبه وزمن نقاء ، قطرنا نقيا خالصا قطرة قطرة، وسط كل ما كان يدوم حولنا من خراب وحروب وتداع وتصدع في مجتمعنا وإنساننا وقيمه».

مبدعتنا المجيدة، لطفية الدليمي، أم أيار الغالية، إلى لقاء قريب .... نحن لا نتذكرك بل نحن شواهد ذكراك وزمن نقائك الذي عشناه وسنظل نحلم به .

سيبقى ضوؤكِ معنا

دنيا ميخائيل

لن أرثيكِ يا صديقتي السومرية الكبيرة، فذكراك ستبقى حيّة في قلوب قرّائك ومحبيكِ المخلصين. لكنني لا أعرف من أي ذكرى أبدأ أو أين أنتهي.

هل أبدأ من ذلك اليوم في منتصف التسعينيات، حين عدنا معاً من دار الشؤون الثقافية لنشر كتابي "يوميات موجة خارج البحر"، يومها قلتُ لكِ إنني لا أحب أغلفتهم، فسألتني: "كيف تريدين أن يكون الغلاف؟" أجبتكِ: "أريد طائرة ورقية، لا طائرة حربية."

وما إن وصلنا إلى بيتكِ حتى فاجأتني بتصميم غلاف يتلاءم تماماً مع رغبتي. أكملتهُ بأن كتبتُ اسمي والعنوان بخط يدي. وبعد أخذ وردّ مع الرقيب حول فقرة أقلقتهُ عن زيوس الذي كان «ينشغل بقصّ النجوم من السماء ولصقها على الأكتاف...» نُشر الكتاب بغلافه المميز، ببساطته الرائعة الجمال.

بعد ذلك بوقت قصير غادرتُ العراق، بحقيبة واحدة حشرتُ فيها ثلاثين عاماً من عمري. ومن بين ما حملتهُ معي كتابات ورسائل منكِ بخط يدك. سأعود إليها الآن، وأتصفّحها كما لو أنني أتصفّح تلك الأيام الطيبة معاً، أيتها النبيلة التي كانت تطارد الضوء، وتدلّ الآخرين عليه.

رحلت في يوم المرأة العالمي، كأنك تتركين لنا وصيتك الأخيرة: أن تبقى الكلمة حرة، وأن تبقى المرأة قادرة على أن تحلم وتكتب وتضيء.

سيبقى ضوؤكِ معنا.

لطفية الدليمي.. سيدة الرافدين التي أضاءت عتمة الكتابة

سمية آحمد *

تُعد الروائية والمترجمة العراقية لطفية الدليمي والتي رحلت عن عالمنا صباح اليوم واحدة من أبرز القامات الفكرية التي صاغت وجدان الأدب العربي المعاصر، حيث انطلقت مسيرتها من شغفها العميق باللغة العربية التي نالت فيها درجة البكالوريوس وعملت في تدريسها لسنوات، قبل أن تتحول إلى أيقونة صحفية ومدافعة شرسة عن حقوق المرأة.

أسست «لطيفة» العديد من المراكز الثقافية ومراكز الدراسات المختصة في شؤون المرأة ومنها منتدى المرأة الثقافي ومركز "شبعاد" لدراسات حرية المرأة، كانت تؤمن بأن "الحرية ليست هبة تُمنح، بل هي وعي يُنتزع من براثن القيود التي نكبل بها أنفسنا"، وهو ما تجسد في رئاستها لتحرير مجلات ثقافية رصينة ومشاركاتها الدولية التي نقلت صوت المرأة العراقية إلى منصات عالمية مثل معرض فرانكفورت ومعهد غوته.

الكتابة في حياة الدليمي

وقد شكلت الرواية لدى الدليمي "طريقة وحيدة لعصيان الموت"، حيث آمنت بأن الكتابة هي محاولة لإضاءة العتمة التي تبتلع الحكايات المهمش، تقول الدليمي عن الكتابة :«الكتابة فعالية تلقائية، بمعنى أن الكاتب لا يسائل نفسه كثيرا عن دوافعه للكتابة؛ إنه يشرع في الكتابة بصرف النظر عن حقيقة المتغيرات الفيزيائية المحيطة به تماما مثلما أنّ الشجرة لا تسائل نفسها هل تثمر أم لا».

فهذا الرأي انعكس بشكل كبير على إنتاجها الغزير الذي بدأ بمجموعة "ممر إلى أحزان الرجال" وصولاً إلى أعمالها الكبرى مثل "عالم النساء الوحيدات" و"سيدات زحل"، وقد تميزت رؤيتها للأدب بكونه يولد من "العزلة الخلّاقة" ومن اللغة قبل التنظير، حيث كانت ترى أن المدن التي يغادرها المبدع لا تتركه أبداً، بل تسكن مسامه وتخرج في كلماته، ليكون الروائي في نظرها هو من يرمم بالكلمات تلك البيوت التي تهدمت في الواقع وبقيت في الذاكرة.

هذا الثراء في الكتابة ما بين القصة والرواية جعل أعمالها مادة غنية للدراسات الأكاديمية ورسائل الدكتوراه في مختلف جامعات العالم.

وفي مجال الترجمة، لم تكن الدليمي مجرد ناقلة للنصوص، بل كانت "جسراً معرفياً" يربط الثقافة العربية بآفاق الفلسفة والعلوم العالمية، حيث آمنت بضرورة فتح النوافذ للرياح القادمة من المستقبل.

وتقول «الدليمي» عن المترجم :« المترجم هو كاتب آخر للنص لكن ينبغي إيراد بعض التفصيل في هذا الأمر، وأن الترجمة هي نقل جسم معرفي مكتوب بصيغة أفكار في سياق لغوي وثقافي محدّد إلى ما يقابله في لغة أخرى، وواضح أنّ كلّ لغة هي تركيب ضخم ومعقّد من العناصر النحوية والدلالية التي تؤثر في تشكيل النمط العقلي والسيكولوجي للناطقين بها ولا يمكن نقل ذلك النمط إلى لغة أخرى».

مؤكدة بتلك المقولات على أن الثقافة التي تنغلق على ماضيها تموت، ومن هذا المنطلق قدمت للمكتبة العربية ترجمات رصينة لمفكرين وعلماء وفلاسفة مثل ستيفن هوكينغ، كولن ويلسون، وفيرجينيا وولف، كما سعت من خلال ترجماتها إلى تقديم "فيزياء الرواية وموسيقى الفلسفة"، ومزج العلم بالأدب.

لتظل لطفية الدليمي حتى رحيلها في يوم المرأة العالمي رمزاً للمثقفة الموسوعية التي لم تكتف بوصف العالم، بل سعت بوعيها وقلمها لإعادة صياغته وجعل الإنسانية محور ارتكازه.

وعلى الرغم من رحيلها العراق إلا أنها لم تنسى قضية وطنها ومحل ميلادها وكانت دائما ما اعتقد الأوضاع السياسية والاجتماعية إذ تقول عن من يقومون بتشريع القوانين في العراق :«هؤلاء القيمين على تشريع القوانين، لايحبّون العراق ولايكترثون بكل معالم الدمار التي حلت به سواءً أكانت خبيثة مقصودة أم نتاجا للجهالة والسفاهة واستباحة كلّ القوانين الراسخة والأعراف النبيلة».

وتتابع :«لستُ غافلة عن حقيقة أنّ بعض العراقيين تتمزّق قلوبهم وهم يرون العراق الجميل يتراجع متخلفاً؛ وهؤلاء قلّة قليلة مغلوبة على أمرها حائرة تداري جراحها بصمت».

بتلك الكلمات كانت لطيفة الدليمي ولا تزال أيقونة من أيقونات الادب والصحافة والترجمة في الوطن العربي وربما رحلت لكن شمس معرفتها وكلماتها سيظل مشمسا في سماء الأدب .

× كاتبة مصرية

رحيل لطفية الدليمي... غياب صوت السرد وبقاء أثر المعنى

مروان ياسين الدليمي

في صباح مثقل بظلال الفقد، غاب صوت روائي عراقي ظل يكتب كمن يقاوم خراب العالم بصمت اللغة. رحلت الروائية العراقية لطفية الدليمي في العاصمة الأردنية عمّان بعد معاناة طويلة مع المرض، تاركة وراءها تجربة أدبية وفكرية بارزة تجاوزت حدود السرد إلى التأمل في الإنسان والتاريخ والمعرفة. وبرحيلها، لا يفقد المشهد الثقافي العراقي اسما مهما في الرواية والترجمة فحسب، بل يخسر أيضا واحدا من أكثر الأصوات هدوءا وعمقا في مقاربة القلق الإنساني وأسئلة الحرية والذاكرة.

ونعى اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين الدليمي، مؤكدا أن تجربتها تمثل نموذجا متفردا في الثقافة العراقية الحديثة، حيث امتزجت الرواية بالترجمة والتأمل الفكري ضمن مشروع إبداعي متكامل. وأشار بيان الاتحاد إلى أن كتابتها انطلقت من المخيلة قبل التنظير، ومن اللغة قبل الصياغة النظرية، ومن عزلة فكرية خلاقة أتاحت للنص أن ينمو بعيدا عن ضجيج المشهد الثقافي.

لم تكن الكتابة عند لطفية الدليمي ممارسة جمالية منفصلة عن الوجود، بل كانت وسيلتها لفهم العالم بوصفه شبكة معقدة من التوترات بين الإنسان وتاريخه وذاكرته ومصيره. لذلك لم تنشغل بالحكاية بوصفها غاية مكتفية بذاتها، بقدر ما جعلت من الرواية أفقا للتأمل في أسئلة المعرفة والحرية والقلق داخل عالم مضطرب. وفي هذا المعنى، بدا مشروعها السردي أقرب إلى محاولة دائمة لاختبار المعنى الكامن خلف الوقائع، لا مجرد تسجيلها.

وخلال مسيرتها الطويلة، أصدرت الدليمي عددا من الأعمال الروائية والمقالات والترجمات التي رسخت حضورها في الثقافة العربية المعاصرة، لا بوصفها إضافة كمية إلى المكتبة العربية، بل باعتبارها مساهمة نوعية في إعادة التفكير في العلاقة بين الأدب والمعرفة. فقد كانت ترى أن النص ليس وعاء للحكاية وحدها، بل مساحة للتفكير، وأن اللغة ليست أداة وصف فحسب، بل وسيلة لاكتشاف ما يتوارى خلف الأشياء.

وعلى امتداد تجربتها، بدت رواياتها أشبه ببنى فكرية تتخذ شكل السرد. فالشخصيات في عالمها ليست عناصر درامية تتحرك داخل حبكة تقليدية، بل كائنات وجودية تعيش تحت ضغط الأسئلة الكبرى التي تحاصر الإنسان في زمن مضطرب. وكانت الرواية لديها محاولة لفهم القلق الإنساني أكثر من كونها تمثيلا مباشرا للحدث التاريخي.

ولدت لطفية الدليمي عام ١٩٣٩ في مرحلة شهد فيها العراق تحولات اجتماعية وثقافية متسارعة. ونشأت في فضاء كانت تتصاعد فيه أسئلة الحداثة والهوية، وهو ما انعكس مبكرا على علاقتها بالقراءة التي تحولت مع الوقت إلى قدر شخصي قادها نحو الكتابة. وقد درست اللغة العربية وآدابها في جامعة بغداد، في زمن كانت فيه الحياة الفكرية في العاصمة تتسم بحيوية لافتة، وكانت المقاهي الثقافية والصحف والندوات تفتح أبوابا واسعة للنقاش حول مستقبل الأدب العربي وأسئلته الكبرى.

وبعد التخرج، انخرطت في العمل الثقافي والصحافي والتربوي، لكنها لم تعتبر تلك الأنشطة بديلا عن مشروعها السردي الخاص. فقد ظلت ترى في الكتابة ممارسة تقوم على الصبر والتراكم الداخلي، حيث ينضج النص في العمق قبل أن يظهر إلى العلن. ومع سبعينيات القرن الماضي، بدأت ملامح مشروعها تتضح بصورة أكبر، وظهرت نصوصها في الصحف والمجلات الثقافية بنبرة مختلفة عن كثير من السرد العراقي السائد آنذاك.

لم تكن الدليمي معنية بتوثيق الحدث بوصفه واقعة تاريخية فحسب، بل كانت تنظر إلى ما يكمن وراءه من أثر نفسي وتاريخي في حياة الفرد. ومن هنا جاءت أعمالها لتتجاوز المباشر والآني، وتتجه إلى تفكيك ما يتركه العنف والتحول السياسي من تشققات داخل الذات الإنسانية. وفي هذا السياق، برزت روايات مثل «سيدات زحل» و«مشروع أومًا» بوصفها نماذج واضحة على هذا المنحى، حيث يتحول السرد إلى مساحة فكرية مفتوحة على أسئلة السلطة والعنف والهوية ومصير الإنسان داخل تاريخ لا يمكن التحكم بإيقاعه.

وكانت الكتابة عندها أيضا شكلا من أشكال الدفاع عن الحرية، لكن الحرية في نصوصها لم تظهر كشعار سياسي مباشر، بل كسؤال وجودي يخص الإنسان في بحثه عن معنى وجوده. ولهذا بدت الشخصيات النسائية في كثير من أعمالها أكثر من مجرد تمثيل اجتماعي للمرأة، إذ كانت تعكس كائنات تحاول فهم ذاتها داخل منظومات تضغط على الحركة والرغبة والخيال. ومن خلال هذا البناء، كانت الدليمي تطرح سؤالا أوسع عن قدرة الإنسان، رجلا كان أم امرأة، على الحفاظ على استقلاله الداخلي في عالم يثقل عليه بالتاريخ والمجتمع والسلطة.

وإلى جانب الرواية، شكلت الترجمة جزءا أساسيا من مشروعها الثقافي. فقد نقلت إلى العربية عددا من الأعمال الفكرية والأدبية، وكانت تنظر إلى الترجمة بوصفها حوارا حضاريا لا مجرد نقل لغوي. وكانت تؤمن أن الأدب لا يتطور داخل عزلة ثقافية، وأن الانفتاح على التجارب العالمية شرط من شروط تجدد الكتابة العربية. لذلك اتسم اختيارها للنصوص المترجمة بدقة فكرية واضحة، إذ مالت إلى الأعمال التي تثير أسئلة الإنسان والتاريخ والمعرفة، مؤكدة أن الترجمة فعل ثقافي ومعرفي بقدر ما هي فعل فني.

ولم يكن حضور الدليمي في المشهد الثقافي حضورا صاخبا. فقد اختارت طريقا يقوم على المسافة التأملية لا على المباشرة الخطابية، وعلى الإنصات العميق للفكرة قبل الدفع بها إلى سطح النص. وكان هذا البطء جزءا من جماليات تجربتها، لا علامة على التردد، بل خيارا فنيا وفكريا يميزها عن كثير من الاتجاهات السردية التي انجذبت إلى الإيقاع السريع والمباشرة العالية.

وعاشت الدليمي في زمن عراقي مضطرب شهد حروبا وحصارا وانهيارات سياسية متلاحقة، لكن هذه الوقائع لم تتحول في نصوصها إلى تقارير تاريخية، بل إلى أسئلة تتعلق بمصير الإنسان داخل العنف. فالتاريخ في عالمها السردي لا يظهر بوصفه خلفية صلبة وواضحة، بل كقوة خفية تؤثر في حياة الأفراد وتعيد تشكيل قلقهم ونظرتهم إلى العالم. ومن هنا برز السؤال المركزي في مشروعها: كيف يستطيع الإنسان أن يحافظ على توازنه الداخلي في زمن سريع التحول، قليل اليقين، ومفتوح على الخسارات؟

ويبقى من تجربة لطفية الدليمي أكثر من الكتب التي نشرتها. يبقى نموذج الكاتب الذي يرى الأدب شكلا من أشكال التفكير، لا مجرد وسيلة للحكاية. فقد علمت قراءها أن الرواية ليست قصة مغلقة، بل طريقة للنظر إلى العالم، وأن اللغة ليست أداة وصف فقط، بل وسيلة لاكتشاف المعنى الكامن خلف الأشياء. وهذا ما يجعل رحلتها جزءا أصيلا من الذاكرة الأدبية العراقية الحديثة.

رحلت لطفية الدليمي، لكن النص الذي بدأته لا يزال مفتوحا. فالأدب بطبيعته لا يعرف النهاية. يغيب الكاتب، لكن الكلمات تواصل حياتها في وعي القراء. يتوقف الصوت، غير أن المعنى يواصل رحلته عبر الزمن. وفي هذا الأفق، لا يبدو الرحيل خاتمة نهائية، بل انتقالا من حياة الكاتب إلى حياة النص، حيث تظل الأسئلة التي طرحتها الدليمي تعمل بصمت في ذاكرة الأدب، وتواصل مهمتها القديمة: إثارة السؤال الذي لا يجد جوابا نهائيا.

قالوا في رحيلها

القاص محمد خضير: بمن نفتخر بعد غيابها

في سماء ملبدة بالغيوم والمخاوف، هوى طائر من سرب الطيور المحلقة وراء الحدود. اطبق الدجى على اسم لامع من جيل السردية العراقية الرائدة. اللغة مرتبكة وحزينة بعد رحيل سيدة الكلمات لطفية الدليمي. الوجوه كاسفة، والنور بعيد. المكتبة خاوية من رف الكتب المديد. بمن نفتخر بعد غيابها. ما أوحش السماء!.

الشاعر عارف الساعدي: كانت حقلا لكل الألوان الادبية والمعرفية

خسرت الأوساط الثقافية العراقية والعربية قامةً نسويةً كبيرة اضافت للرواية والقصة والترجمة الكثير من الوان الفن والادب والمعرفة ، لطفية الدليمي كانت حقلا لكل هذه الألوان الادبية والمعرفية ، خدمت الثقافة لأكثر من خمسين عاما ومنحت وقتها وجهدها للحفر في الجماليات وتدوين حكايات الناس نحن في دار الشؤون الثقافية ننعاها لانها كانت جزءا من هذه الموسسة العريقة التي عملت فيها الراحلة الكبيرة لطفية الدليمي ، كما ننعاها في الاتحاد العام للادباء والكتاب في العراق. برحيلها تنطوي صفحة مضيئة من صفحات مبدعاتنا الكبيرات التي تقف لطفية بمصاف هذه القامات الكبرى كنازك الملائكة وليعة عباس عمارة وخديجة الحديثي والعشرات من قوافل الضوء .

السكينة والراحة لروحها الخالدة والذكر الخالد لها ولاعمالها التي ستجد بابا جديدا للقراءة والمراجعة

الروائي: احمد السعداوي: ليست قامة إبدعية، بل قلبا نبيلا

«كل يقين مكيدةٌ للإطاحة بالأجنحة»، هكذا كتبت لطفية الدليميّ للتعريف بنفسها على مواقع التواصل، وهكذا حلّقت أخيراً بعيداً عنّا، تاركةً اجنحتها في فضاءات الأدب تخفق دون توقّف في تحليق أبدي.

رحلتِ يا أستاذتي العزيزة، على وعدٍ منّي، كما في محادثاتنا الأخيرة، بلقاء جديد، لم يتحقّق للأسف، في مقاهي عمّان، لنتذاكر شجون «اللاوطن» الذي جمعنا. لم تكوني مجرد قامة إبداعية، بل قلباً نبيلاً احتضن الجميع بدفء. سنفتقدُ بوصلتك المعرفية ونقاءَ روحك. وداعاً لرفيقة الكلمة التي لا تغيب.

الكاتبة لاهاي عبد الحسين: الصدر الرحب والصوت المسموع

يا لهذا التلاقي ترحلين في اليوم العالمي للمرأة ونحن في حزن أعمق وأوسع على ما جرتـه وتجره الحروب والنزاعات على منطقتنا. كأنك اخترت هذا اليوم لتبقى الذكرى عالقة في اذهاننا بانشغالك للدعوة إلى المحبة والتآخي والسلام. فيا ارض احزني على من أبكاك كثيراً حتى رحل. كل عام وأنت ماثلة في اذهاننا نتذكرك، نحبك، نجادلك، نختلف معك ونتفق. كنت ذلك الصدر الرحب والصوت المسموع. إلى رحمة رب عزيز كريم ...

الروائية منى سعيد: سيدة الحرف وداعا..

كيف للقلم والورقة ولمفاتيح الحاسبة « الكي بورد» أن توُدعك بعدما أمضيتِ جل سنوات عمرك ملتصقة بهم تتعبدين بمحراب الكلمة الصادقة المخلصة ، منقبة عن جواهر الإنسان ، نابشة التاريخ ، ومحققة في شتى صنوف المعرفة ؟!

بمداد القلب رهنت سيدة الكلمة حياتك للأدب وللعلوم حاملة مصباح التنوير من أجل مجتمع مدني يرفل بالمحبة والسلام والأخوّة، نائرة في الوقت نفسه باقات الأزاهير بعطرها العابق على الجميع.

أرثيك أختا وصديقة جمعتنا معا أوقات جد ومرح وثقافة وحوارات متواصلة في الأدب والعلم ، والرواية على وجه الخصوص ، متحملة مشاكستي لك بمحبة خالصة توصل إليك أراء النقاد والقراء من الأصدقاء .

من يرث الفردوس في غيابكِ لطفية؟

جمال العتّابي

هل يجد الحزن ضالّته في زحمة المواقف والخسارات والأماني؟ أيتها البارقة في سماء ثقافتنا العراقية، نحن الأحوج إليك يا أم أيار في عالم صار خالياً من همسك وكلماتك، بعدما برحتهُ روحك، وغادره جسدك، وبات بلا صوتك الهادئ الرقيق، وبلا همسك الذي كحيات مطر في زمان تقاسمه الجدبُ والموت.

لقد أخذتك المشيئة قبل أن نراك هنا، في "بغداد" لكن غيابك عنها فاق الحدود، وتمضين قبل حفل العشاء في بيت النساء الوحيدات، قبل أن تمتلىء سلال البرتقال من برتقال ديالى الحلو الريّان. فمن يرث الفردوس في غيابك الأبدي؟

لقد انتظرناك طويلاً.. يا راوية الأمل الهادئ والذوق والحكمة والنقاء، ربما ظلمك الصغار واحتملت كثيراً، ونالوا منك لأنك كبيرة، والكبار يستفزون الصغار، لكن لا عليك فالأشياء بخواتيمها، وكنت مسك الختام.

رحلت، بعيداً رحلت في صمت يشبه حياتك

كنت تكتبين كما لو أنك تزرعين شجرة في أرض قاحلة، مؤمنةً أن المعرفة يمكن أن تُنقذ الإنسان من عزلته، وأن الأدب قادر على أن يمنح الحياة معنى أرحب. لهذا ظلّت نصوصك مزيجاً من العلم والخيال، من الحكمة والرهافة، ومن الإيمان العميق بأن الإنسان يستحق فردوسه الأرضي، مهما اشتدت العتمة من حوله.

اليوم، ونحن نودّعك، لا نسأل عن الغياب وحده، بل عن ذلك الضوء الذي تركته في الكتب والقلوب. لقد صار اسمك جزءاً من ذاكرة الثقافة العراقية، وصارت كلماتك أشبه برسائل مؤجلة إلى المستقبل.

سلامٌ عليكِ في غربتك الأخيرة، يا لطفية.

وسلامٌ على روحك التي اختارت الرحيل بهدوء، كما لو أنها تعبر جسراً مقوّساً بين عالمين.

لطفية الدليمي.. الحضور والظاهرة المعرفية

محمد حياوي

في توصيف الظاهرة الثقافية وملامحها وأسباب تبلورها، يعتقد كثيرون بأنّ الأمر مقتصر على مجموعة رؤى وتفاعلات وآراء متضادة قد تحدث صدى يحفز على المناقشة والجدال، لكنّني هنا أتجاوز هذا التوصيف إلى الحالة الفرد، وكيف يمكن أن يشكّل ظاهرة من نوع ما، مثل الكتابة عن لطفية الدليمي. ليس الكاتبة والمترجمة والناشطة المدنية، بل الظاهرة الثقافية المتواصلة والمتجددة، لجهة إصرارها على الحضور الفاعل، سواء في الصحافة الثقافية أو التأليف الإبداعي والترجمة والإعداد والمتابعة أو حتّى في الحياة الثقافية.

تعود معرفتي بالكاتبة إلى أيّام البدايات الوجلة، عندما كنا نحمل نصوصنا المرتبكة إلى مجلة الطليعة الأدبية التي كانت تُعنى بأدب الشباب آنذاك، فكانت تستقبلنا بابتسامتها المشرقة وقصّة شعرها القصيرة دومًا وأناقتها اللافتة. كان الأمر أكثر من كونه مجرد امرأة جميلة طافحة بالإشراق، تجلس في مكتبها وتقرأ قصصنا. وبالنسبة إلى شاب حبي قادم من الجنوب الفقير يتعثّر بتطلعاته البكر، كان الأمر أشبه باجتياز عتبة التردد ودخول عالم النّور المعطّر. وكان النشر في المجلة، التي نطالعها في مدننا البعيدة، بمثابة تذكرة مرور لعالم الإبداع ممهورة بالحضور العطر لتلك السيّدة.

حتى عندما قرأت أولى رواياتها "عالمُ النساء الوحيدات" التي وقعت بين يدي صدفة، لم يتزعزع إيماني بحضورها واختلافها وعمقها، بل ازدادت تلك الصورة التي احتفظ بها وضوحًا وترسّخًا. وعلى الرغم من أنني لم ألتقِ بها كثيرًا في بغداد، إلاّ أن عالمها الروائي المشيّد بين "عالم النساء الوحيدات" و"سيّدات زحل"، طالما شكل لدي مخاضة إبداعية شاسعة قلما نجد لها مثيلا. على الأقل عندنا في العراق، حيث بقي أدب المرأة متواريًا نسبيًا وحييًا.

في الواقع لا أستطيع أن أسبغ أيًا من تلك الصفات على أدب لطفية الدليمي المختلف والعميق والخارج عن إطاره الزمني ومناخه الاجتماعي، ذلك الأدب الذي خدمته شخصية الكاتبة وحضورها القوي في أن يتفرّد بهذه الطريقة المخالفة لما كان سائدًا في العراق. لقد لعبت عوامل عدّة في تحول الكاتبة إلى ظاهرة ثقافية ومعرفية ما زالت تترسّخ ملامحها عامًا بعد عام، منها أن أدبها لم يقتصر على نمط معين من الكتابة الإبداعية، فهو متنوع وساع إلى التجريب واستغلال الممكنات بعيدًا عن التنميط والتجنيس، ومنها أن ثقافتها الواسعة وإجادتها للغات أخرى مهمّة مهّدت لها الدخول إلى عالم الترجمة الواسع والمهم والحيوي، كما أن تجربتها الشخصية في السفر والغربة والتغرّب، وما عانته ككاتبة امرأة في سفر المدن الغريبة قد منحها رؤية واسعة وذاكرة متخمة بالصور والمواقف والتناقضات، لتتحول بعد كل ذلك إلى كاتبة ومترجمة وباحثة يشكل حضورها المتصاعد في المشهد الثقافي العراقي والعربي ظاهرة معرفية من نوع ما.

فأن تكتب رواية تصبح روائيا وأن تكتب قصة تصبح قاصا، لكن أن تكتب رواية وتترجم وتبحث في مناهل المعارف وتواصل حضورك في وسطك وتؤثر فيه وتبتكر الرؤى والأفكار، فأنت ظاهرة ثقافية تتجاوز كيان الكاتب بذاته إلى المحيط الثقافي الأوسع.

فقد استطاع البعض من المثقفين العراقيين القفز على واقع التشتّت وتفتّت المشهد الثقافي العراقي، ليشيّد محيطا ثقافيا فاعلا في البلد الذي يعيش فيه، متناغما مع المحيطات الشبيهة المتناثرة هنا وهناك مثل بقع ضوئية وامضة لتحكي قصة الارتقاء والإصرار على الفعل الثقافي الذي تحول إلى ما يشبه التحدي والمراهنة على عدم موت الثقافة والإبداع العراقي بإزاء ما ينكشف من تفصيلات مهولة لمخطط النيل من كل ما هو وطني وأصيل في العراق اليوم.

عراقيون
من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

هيئة التحرير
غادة العاملي
رفعة عبد الرزاق

يمكنكم متابعة الموقع الالكتروني
من خلال قراءة QR Code:

www.almadasupplements.com
Email: info@almadapaper.net

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

لطفية الدليمي..
أيقونة من زمن التوهج والإبداع تودع خيبات جيلنا

فخري كريم

ودعتنا صباح يوم الاحد (٨ اذار ٢٠٢٦) لطفية الدليمي، في لحظة فقدان توشح بالحسرة على عراق لم ينصف قامات زهت الدنيا بها وما أشاعته من قيم وخلق إبداعي في ظل سيادة التفاهة والرثاثة وفقدان الضمير .

فقدنا صوتاً معرفياً هادئاً وعقلاً نيراً كرس حياته للكتابة والترجمة والعمل الثقافي بصبر وإيمان عميق بقيمة المعرفة في زمن يضيق بمبدعيه وروّاده الخلاقين في كل ميادين الفرح والتوق لفضاء يحتفي بهم. .

كرست لطفية الدليمي حياتها في خدمة الكتاب، بوصفه مسؤولية فكرية تجاه القارئ وتجاه الثقافة العراقية التي ظلت طوال سنوات عملها تحاول أن تدافع عنها بالكلمة الواضحة والعمل الجاد والانفتاح على الفكر العالمي. كتبت الرواية واشتغلت على الترجمة وقدمت للقارئ العربي أعمالاً فكرية وعلمية مهمة، وكانت حريصة دائماً على أن يكون حضور المعرفة في الثقافة العربية حضوراً حياً ومؤثراً، لا مجرد صدى بعيد لما ينتجه العالم.

عرفناها في دار المدى كاتبةً تغني مشروعنا الثقافي، ورأت الدار في أعمالها نموذجاً للكاتب الذي يعمل بصمت وبإخلاص، بعيداً عن الضجيج، مؤمناً بأن الكتابة عمل طويل يتطلب الصبر والالتزام والاحترام العميق لعقل القارئ وذائقته. كانت لطفية الدليمي جزءاً فعالاً من هذا الجهد الثقافي الذي حاول خلال سنوات صعبة أن يحافظ على حضور الكتاب والمعرفة في الحياة العراقية.

إن فقدانها اليوم يترك شعوراً قاسياً مشوباً بالفقد، إذ يأتي في هذا الزمن المضطرب. وهي في أوج نشاطها الإبداعي لم يمنعها معاناة المرض وأوجاعها المضنية. وهي التي كانت واحداً من العقول التي آمنت بأن الثقافة ليست ترفاً بل ضرورة، وأن الكتابة ليست مجرد تعبير فردي بل فعل مسؤولية تجاه المجتمع والتاريخ. وفي زمن الرصاصة وصعود الإرث القمعي، نفقد هذا العقل النير الذي اختار أن يقف في صف المعرفة والعقل والعمل الثقافي الجاد.

إن أكثر ما يذكرني رحيل لطفية الدليمي بتقاليد الرثاء الكبرى في الأدب العالمي، تلك اللحظات النادرة التي نقف فيها أمام موت كاتب فنكتشف أن اللغة نفسها تصبح أضيق من الحزن الذي نريد قوله. أتذكر أولاً ما كتبه الشاعر الإنكليزي أودن وهو يرثي الشاعر الإيرلندي وليم بتلر ييتس حين قال "اختفى في قلب الشتاء، وكانت الجداول متجمدة، والمطارات شبه خالية". ما أشبه ذاك اليوم بهذا اليوم الذي تعيش فيه منطقتنا لحظات الحرب العصيبة، المطارات شبه خالية ووجوهنا صامتة بينما خسر الأدب أحد اجمل أصواته. هكذا يحدث دائماً حين يرحل الكتّاب الكبار، لا تتوقف المدن ولا يتباطأ الزمن لكن شيئاً عميقاً يتغير في روح الثقافة نفسها.

ويعود الذهن أيضاً إلى تلك الكلمات النادرة التي كتبها ليو تولستوي حين مات دستويفسكي، وقد أدرك بعد موته أنه كان أقرب الناس إليه وأكثرهم ضرورة له. كانت تلك الكلمات القصيرة واحدة من أعظم مراثي الأدب، لأنها كشفت أن فقد الكاتب الكبير لا يخص أصدقاءه وحدهم، بل يخص كل من عاش في العالم نفسه الذي عاش فيه. وكذلك حين رحل ألبير كامو كتب معاصروه كلمات مشابهة، لأنهم شعروا أن العقل الأخلاقي لعصر كامل قد انطفأ فجأة، وأن القرن العشرين خسر أحد أكثر ضمائره وضوحاً.

هكذا يبدو الأمر اليوم ونحن نودع لطفية الدليمي. فليس الأمر مجرد رحيل كاتبة أو مترجمة انما شعور ثقيل بأن الثقافة العراقية تفقد واحداً من عقولها التي كرست حياتها للمعرفة والعمل الثقافي. لقد كانت الدليمي علامة واضحة في الرواية العراقية الحديثة، لكنها أيضاً مترجمة جادة نقلت إلى العربية كتباً مهمة في الفكر العلمي والثقافة المعاصرة، واشتغلت طوال سنوات طويلة على فكرة نادرة في الأدب العربي: أن المعرفة ليست منفصلة عن الأدب، وأن الرواية يمكن أن تكون مساحة للتفكير، وأن الترجمة يمكن أن تكون جسراً يربط القارئ العربي بالعالم الواسع من حوله.

وفي الأيام الأخيرة من حياتها بقيت وفية لهذا الطريق حتى النهاية. ظلت تكتب وتترجم إلى آخر لحظة. قبل أيام قليلة فقط أرسلت ترجمتها لواحد من الكتب المهمة في مجال المعرفة وهو كتاب " كتاب التحول الكبير: أفكار لعالم آت" أرادت أن تخبرنا قبل رحيلها عن عالمنا الآتي، وكأنها تريد أن تضع آخر حجر في ذلك البناء الثقافي الذي أمضت حياتها تشيده بصبر وإخلاص. وهذا دأبها دائماً أن تعمل بصمت وأن تضع الكتاب في يد القارئ، وأن تمضي إلى عمل جديد دون ضجيج أو ادعاء.

وهذا ما يذكرني أيضاً بواحد من أولئك النادرين الذين عاشوا للترجمة كما يعيش الناس لرسالة وهو المترجم السوري الكبير أسامة منزلجي الذي بعث مخطوطته الأخيرة إلى دار المدى بترجمة لواحدة من أروع الروايات الأميركية "الرجل الذي عاش تحت الأرض" لريتشارد رايت ثم رحل بعدها مباشرة. هؤلاء الناس يشبهون بعضهم: يعيشون حياتهم كلها داخل الكتب، ويغادرون العالم وهم ما زالوا يعملون، كأنهم لا يعرفون طريقة أخرى للعيش سوى خدمة المعرفة.

لكن ما يجعل الحزن أثقل اليوم هو الشعور بأن هذا الرحيل يأتي ضمن سلسلة طويلة من الخسارات التي عاشتها الثقافة العراقية في السنوات الأخيرة. يا إلاهي كم فقدنا خلال عقد واحد من الزمن: فائق بطي، فؤاد التكرلي، وسعدي يوسف، وعادل حبه، وعلي الشوك، وفوزي كريم، وابتسام عبد الله، وحسب الشيخ جعفر، وعبد الرحمن مجيد الربيعي، وكريم العراقي، ومظفر النواب، وناجح المعموري، وموفق محمد، والآن لطفية الدليمي. وقامات اخرى اغنت الحركة الثقافية وساهمت في تحديثها وتجديدها؛ أسماء كانت تشكل جزءاً من ذاكرة العراق الثقافية ومن صورته الفكرية أمام العالم، أسماء صنعت عبر عقود طويلة معنى الأدب العراقي وعمقه الإنساني.

وما يزيد الألم أن هذا الرحيل يحدث في زمن قاس، زمن تتراجع فيه الثقافة ويصعد فيه العنف والضجيج والخذلان إلى الواجهة، زمن تصبح فيه الرصاصة أعلى صوتاً من الكتاب، ويظهر فيه الهامشي والوضيع بينما يغيب الذين كرّسوا حياتهم للمعرفة والكتابة. في مثل هذا الزمن يبدو فقدان الكتاب الكبار أشبه بفقدان الضوء في غرفة كانت أصلاً تعاني من العتمة.

ومع ذلك يبقى عزاؤنا الوحيد أن هؤلاء الكتاب لم يعيشوا في الزمن العابر وحده، بل عاشوا في الكتب التي تركوها خلفهم. لقد عاشوا في اللغة التي كتبوا بها، وفي الأفكار التي دافعوا عنها، وفي الأثر الذي تركوه في حياة قرائهم. وهذا الأثر لا يختفي بسهولة، مهما تغيرت الأزمنة ومهما ارتفع الضجيج من حوله.

نتقدم بخالص التعزية إلى عائلتها وأصدقائها وقرائها، ونستذكر بامتنان ما قدمته للأدب والترجمة والثقافة العراقية. وستبقى جزءاً من تلك الذاكرة الثقافية التي لا تموت بسهولة، لأن الثقافة الحقيقية لا تقاس بعدد السنوات التي يعيشها الكاتب، بل بما يتركه من أثر في اللغة وفي عقل القارئ وفي معنى الزمن الذي عاش فيه. لقد رحلت لطفية الدليمي، لكن ما تركته من كتب وأعمال سيبقى جزءاً من تاريخنا الادبي والمعرفي الذي ستواصل الأجيال القادمة قراءته والعودة إليه دائما وأبداً.